المجلة المصرية للبحوث والدراسات الإسلامية-كلية الآداب-جامعة سوهاج-مج (١٣)-ع (١٣)- يناير ٢٠٢٥م- الصفحات(١٠-٣٢)

مظاهر الإعجاز في مثاني القرآن

د. فهد بن عبد الله بن عبد العزيز آل عثمان

أستاذ مساعد بكلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز بالخرج، المملكة العربية السعودية **Fahd34@gmail.com**

ملخص:

اعتمد البحث مصطلح (مثاني) مع المراد به نظم الآيات القرآنية الكريمة في جانب القصص وما اشتمل عليه من تكرار، بياناً لصلة هذا المصطلح بجانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وبخاصة في القصص ذات التأثير البالغ على القارئ والسامع، إذ فيها التذكير والاعتبار لما حصل للأمم السابقة، وما ختم الله به من نصره لعباده وتدمير لأعدائه ، وهذه القصص جاءت بالأسلوب البلاغي المعجز للقرآن الكريم الذي بهر العالمين ، ولذا لم تكن قصصاً تروى فحسب، وليس لتبين دلائل صدق دعوة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لأقوامهم فقط، إنما أظهرت كذلك دلائل الإعجاز الذي استقل به القرآن عن سائر الكتب السماوية. ولذلك: سيتناول البحث معنى (مثاني) وارتباطه بالقصص، إلى جانب مفهوم القصة القرآنية، وأنواعها ،وفوائدها ،ومزاياها، والتكرار في القصص القرآني ،أنواعه ،وفوائده ،ويختتم البحث بذكر دلائل الإعجاز في مثاني القصص القرآني .

الكلمات المفتاحية: المثاني، القصص القرآني، التكرار، الإعجاز.

****

Repetition in Quranic Stories and its Indication of Miracles

ABSTRACT

Especially in stories that have a great impact on the reader and listener, as they remind and take into account what happened to previous nations, and what God sealed with in His victory for His servants and the destruction of His enemies. These stories came in the miraculous rhetorical style of the Holy Qur'an that dazzled the worlds, and therefore they were not stories to be told only, and not to be made clear. Evidence

of the sincerity of the call of the prophets, peace be upon them, in their call to their people, but also evidence of the miracle with which the Qur'an was independent of all other heavenly books. Therefore: The research will address the meaning of (Mathani) and its connection to stories, in addition to the concept of the Qur'anic story, its types, benefits, and advantages, and repetition in Qur'anic stories, its types, and benefits. The research concludes by mentioning the evidence of the miraculous nature in the two Qur'anic stories.

Keywords: Al-Mathani, Quranic stories, repetition, miracle.

****

مقدمـة

الحمد لله معلم الإنسان، ومنزل القرآن بأبدع تبيان، والصلاة والسلام على معلم الناس الحكمة والقرآن محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فقد وُصف الفرآن الكريم بـ (المثاني) في آيات كريمة أحدها قوله تعالى: (ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ) [الزمر: ٢٣]، وهو مصطلح ذو دلالات عديدة، تتصل بنظم القرآن وموضوعاته، وأغراضه وتناسب آياته، وكذا القصص الوارد فيه حيث جاء في سياقات عدة وأساليب متنوعة من أظهرها التكرار الذي هو أحد مظاهر الإعجاز، فهو القصص الحقّ الصادق، حيث قال سبحانه: (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)[آل‌عمران: ٦٢]، وهو القصص الحسن البليغ كما قال سبحانه: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ) [يوسف: ٣]، وهو المؤثر في الرسل والدعاة إلى الله تعالى: يؤنسهم ويشحذ هممهم ويثبتهم ويواسيهم، ومن جهة أخرى يؤثر في المدعوين وعموم السامعين لما فيه من توجيهات أو نذارات أو عبر وعظات، كما قال جلّ وعلا: (لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)[يوسف: ١١١]،وقد اخترت هذا الموضوع وهو: **مظهر الإعجاز في مثاني القرآن،**

سائلاً الله أن يوفقني ويسددني في طرق مباحثه ومواضعه، مستفيداً من أهل العلم من المفسرين وغيرهم في استنباطهم للأوجه البلاغية من القصص التي قصَّها الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،واقتدت أمَّته في أخذ العبر والعظات منها، لينالوا بذلك العلم والعمل والأجر.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- عظم تأثير القصة القرآنية ومكانتها لدى هذه الأمة المسلمة.

٢- إظهار قيمة البلاغة القرآنية، وكيف وظف المفسرون هذا العلم في تفسير كلام الله تعالى.

٣- الدروس المستفادة من هذه القصص، وما خُتمت به من نصر الله لأوليائه، وما فيها من العظة والذكرى.

المشكلة البحثية:

البحث في القصص القرآني قديم ومتجدد، حيث إنه متنوع وارف الثمار، عظيم المقاصد، إلى أن التثنية والتكرار في القصص له مزية وآثار تتطلب دوام النظر والاستنباط، لاسيما إذا جاءت الدراسة مراعية للسياق والمقاصد والنظم، هنا يرد التساؤل الرئيس وهو: أين مكامن الإعجاز في مثاني القصص القرآني؟

ويتفرع عنه التساؤلات الآتية:

١- ما أهمية الإعجاز في القصص القرآني؟

٢- ما التطبيقات الدالة على مظاهر إعجاز تكرار القصص القرآني؟

٣- ما انعكاس القصص القرآني على دعوات الرسل والأنبياء عليهم السلام؟

أهداف البحث :

١- إبراز أهمية الإعجاز القرآني من خلال تلك القصص ،وتأمل ما فيه من بيان مذهل ونظم باهر.

٢- دراسة الأمثلة التطبيقية الدالة على بعض دلائل إعجاز القرآن من خلال تكرار القصة القرآنية.

٣- بيان ما أظهرت تلك القصص من دلائل صدق دعوة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لأقوامهم .

حدود البحث :

تتمثل في: البحث في دلالة (مثاني القرآن) على التكرار في القصص القرآني، في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو أحد المعاني التي نبه إليها العلماء كما سيأتي بيانه في المفهوم. مع استكمال الشواهد من القصص القرآني نفسه.

منهج البحث:

احتجت في البحث إلى الاعتماد على المنهجين التاليين:

أ) المنهج الوصفي الذي يُستعان به في البحث عن الأوصاف الدقيقة للقصص القرآني، واستقصاء ما ورد فيه من أساليب ومعاني وإشارات، مع ما يقترن به من التحليل والتفسير والمقارنة، وكلها من أدوات المنهج الوصفي مع أنها تتداخل مع المنهج التحليلي.

ب) المنهج الاستقرائي: لأجل تصفح جزئيات القصص والتكرار الواقع فيه على وجه الخصوص، واكتشاف أوجه الإعجاز في ذلك.

خطة البحث : تتكون من مقدمة ، وتمهيد ،وفصلين ، وخاتمة ، على النحو التالي :

المقدمة :

وتشتمل على ما يلي :

- بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهدافه.

التمهيد، وفيه بيان معنى: المثاني، والقصة القرآنية، وأنواعها ،وفوائدها ،ومزاياها.

الفصل الأول : التكرار في القصص القرآني ،أنواعه ،وفوائده ،وفيه مبحثان :

المبحث الأول :أنواع التكرار .

المبحث الثاني :فوائد التكرار .

الفصل الثاني :دلائل الإعجاز في تكرار القصص القرآني ،وفيه نبذة عن الإعجاز البياني ،وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : أسلوب التقديم والتأخير ،وذكر بعض الأمثلة عليه .

المبحث الثاني : أسلوب الفاصلة القرآنية ،وذكر بعض الأمثلة عليه .

المبحث الثالث :أسلوب اختلاف التعبير القرآني ،وذكر بعض الأمثلة عليها .

المبحث الرابع :أسلوب الحذف ،وذكر بعض الأمثلة عليه .

ثم الخاتمة ،وفيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

****

الفصل الأول : التكرار في القصص القرآني ،أنواعه ،وفوائده

تمهيد

معنى: المثاني، والقصة القرآنية ،وأنواعها ،وفوائدها ،ومزاياها.

أولاً: مفهوم المثاني:

(مثاني) أصلها (ثَنَيَ) وتعني في اللغة -كما قال ابن فارس-: "تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين"[2]، ولذا فسر قوله تعالى (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ) [الحجر: ٨٧] فقال: "أراد أن قراءتها تثنى وتكرر"[3]. واسترسل أهل اللغة في بيان إطلاقات (مثاني) ومعانيها، وأهمها[4]:

- عطف الشيء على الشيء، أي ردّ الشيء بعضه على بعض.
- الكفّ عن الشيء والانصراف عن الحاجة.
- طريق العَقَبة.
- ومعاطف الثوب وتضاعيفه.
- إضمار العداوة والبغضاء.

والمعنى الرئيس الذي ذكره ابن فارس هو الذي عليه مدار البحث، مع أن المعاني الأخرى تدور في فلكه، وإنما تأخذ معانٍ إضافية وفقاً للسياق والاستعمال الواردة فيه.

وأما في الاصطلاح:

فأكثر من عني ببيان معنى (مثاني) في الاصطلاح هم أهل التفسير، ذلك أنه ورد في القرآن الكريم في عدة سياقات، وكان لكل سياق معنى ودلالة خاصة كما بين العلماء، وبيان ذلك في الآتي:

أ)عند قوله تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ) [الحجر: ٨٧]، وأكثر المفسرين على أن المراد بالسبع المثاني هنا: الفاتحة، وممن قال بذلك علي بن أبي طالب رضي

الله عنه، وأبو هريرة رضي الله عنه، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما في إحدى الرويات عنه، وسعيد بن جبير، وقتادة، والشافعي وغيرهم[٥]. والقول الآخر: المراد : السور السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. وممن قال بذلك: عبدالله بن عباس رضي الله عنه في الرواية الثانية، وسعيد بن جبير، ومجاهد[٦].

ب) عند قوله تعالى:(ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر: ٢٣]، وعند هذا الموضع ذكر العلماء دلالات عديدة للمثاني، أوصلها الماوردي إلى سبعة:

"**أحدها:** ثنى الله فيه القضاء، قاله الحسن وعكرمة.

الثاني: ثنى الله فيه قصص الأنبياء، قاله ابن زيد.

الثالث: ثنى الله فيه ذكر الجنة والنار، قاله سفيان.

الرابع: لأن الآية تثنى بعد الآية، والسورة بعد السورة، قاله الكلبي.

الخامس: يثنى في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه، قاله ابن عيسى.

السادس: معناه يفسر بعضه بعضاً، قاله ابن عباس.

السابع: أن المثاني اسم لأواخر الآي، فالقرآن اسم لجميعه، والسورة اسم لكل قطعة منه، والآية اسم لكل فصل من السورة، والمثاني اسم لآخر كل آية منه، قاله ابن بحر"[٧].

ومعظم هذه الأقوال السبعة يدور حول معنى التثنية والتكرار، ولذا اختصر طائفة من العلماء دلالة المثاني في أنها وصف للقرآن كله، قال البغوي: "وسمي القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص ثنيت فيه"[٨].

إلا أن الراغب الأصفهاني تفرد بذكر معنيين جميلين للمثاني هما:

الأول: "ما يثنّى ويتجدد حالاً فحالاً من فوائده"[٩]، ويظهر جمال هذا المعنى من دلالاته على كمال التشريع، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

والثاني: الثناء على القرآن الكريم، قال الراغب: "ويصح أن يكون ذلك من الثّناء، تنبيها على أنه أبدا يظهر منه ما يدعو إلى الثناء عليه وعلى من يتلوه، ويعلمه ويعمل به، وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله تعالى: (إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ) ّ[الواقعة: ٧٧]" [10].

والذي يظهر لي أن جميع المعاني الواردة في (المثاني) صحيحة ومعتبرة، ولكل معنى أثر وفائدة.

وبما أن هذه الدراسة تتجه إلى البحث في القصص على وجه التحديد، لذا فمن الأجود أن يتناسب التعريف الاجرائي مع مقاصدها، ومن ثَم يمكن تعريف المثاني هنا بأنه: التكرار الوارد في القصص القرآن الكريم وما ينطوي عليه من مظاهر الإعجاز.

****

ثانياً: تعريف القصة :

لغةً :من القصُّ ، وهو تتبع الأثر مادياً كان أو معنوياً.

فالمادي يقال :قصصت أثره، أي :تتبعته، قال تعالى : (فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا)،والمعنوي كتتبع أخبار الأمم الماضية ،قال تعالى :(لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ)(سورة يوسف :١١١) أي :أخبارهم ،والقصة :الأمر والحديث والخبر [١١].

وأما قصص القرآن اصطلاحاً فمعناه: إخباره عن النبوات السابقة، وأحوال الأمم الماضية، والحوادث الواقعة زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو المستقبلة [١٢] .

ثالثاً: أنواع القصص القرآني :

النوع الأول :قصص الأنبياء السابقين، كقصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام التي تضمنت أخبار دعوتهم لقومهم إلى الإسلام ،والمعجزات التي أيدهم الله بها ،وموقف أقوامهم منهم ،والعقوبات الإلهية التي نزلت بهم .

النوع الثاني :قصص تتعلّق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم ،كقصة أهل الكهف ،وذي القرنين ،وغيرهم .

النوع الثالث :قصص تعلق بأحداث وقعت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ،كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران ،والأحزاب في سورتها ،وغير ذلك .

رابعاً: فوائد القصص القرآني :

من أهم فوائد القصص في القرآن الكريم :

١- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ،قال تعالى : (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) (سورة هود) ،فتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصص والأخبار وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، ، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ، ليكون له بمن مضى من إخوانه من المرسلين أسْوةً[١٣].

٢- إيضاح أسس الدعوة إلى الله تعالى واشتراك كل الأنبياء فيها :

فإنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام دعوتهم واحدة ،هي عبادة الله وحده لا شريك له ،قال تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ) (سورة الأنبياء).

٣- إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم على المعاندين، وبيان معجزته وتحدّيهم به :

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، و ورود مثل هذه القصص دليلٌ على رسالته وتلقّيه للوحي ،وأن معجزته هي ما أنزل الله عليه من القرآن ،قال تعالى:(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) (سورة البقرة) [١٤].

٤- بيان معانٍ جديدة للقصص القرآني ،وهذا من أهم دلائل إعجاز القرآني ،فالقصة وإن تكرّرت في سورة ما، فإنَّ فيها عدداً من اللفتات البيانية، والمشاهد والدلالات الأخرى المهمة في القصة، والتي تناسب مقصد هذه السورة التي أعيدت فيها القصَّة، وقد بيّنتُ عدداً من الأمثلة والشواهد في الفصل القادم ما يدلُّ على ذلك .

خامساً: مزايا القصص القرآني :

١- أنها ربانية المصدر :

فالقصّة تبعٌ للقرآن الكريم، لها من الخصائص ما للقرآن نفسه، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم فيها إلا البلاغ :(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (الطور).

٢- تمتاز بالتكرار :

فالله عزوجل بحكمته يعرض من القصّة ما يلائم موضوع السورة، كما نقرأ من تكرار عرض القصة في أكثر من سورة، كقصة أبينا آدم مع الشيطان ،وموسى عليه السلام مع فرعون [١٥].

٣- فيها قوة الإعجاز :

لقد تحّدى الله عزوجل المشركين أن يأتوا بمثله – أي القرآن- ،قال تعالى :" فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ" (سورة الطور) ،والله عزوجل نوّع في القصص وأعاد فيها بأساليب بلاغية أعجزت الفصحاء والبلغاء، وهذا التنوّع أذهل البشر، فإنه جاء بألفاظ مختلفة وتؤدي معنى واحداً في مواضع كثيرة على ترتيبات متفاوتة، وأثبت الله عجزهم عن الإتيان بمثله، ولو كان فيهم تمكُّن من المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبَّروا عنها بألفاظ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها وجعلوها بإزاء ما جاء به، لكن نتيجة عجزهم عن الإتيان بمثله أو أقلَّ منه توصلوا بعد ذلك إلى تكذيبه فيما حكى وجاء به – عناداً واستكباراً- (١٦).

الفصل الثاني :التكرار في القصص القرآني ،أنواعه ،وفوائده.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول :أنواع التكرار في القصص القرآني

أولاً: تعريف التكرار لغة : من الكرِّ ،والكَرُّ الرجوع ،وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أَعاده مرة بعد أُخرى ،والكَرّةُ المَرَّةُ والجمع الكَرَّات ،ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا ردّدته عليه وكَركَرْتُه عن كذا كَرْكَرةً إذا رَدَدْته (١٧).

تعريفه اصطلاحاً : هو تكرار كلمة أو جملة لمعانٍ متعددة ،كالتوكيد ،والتعظيم ،وغير ذلك(١٨)

ثانياً :أنواع التكرار :

١- تكرار في اللفظ والمعنى، كقوله تعالى في ذكر قصص الأنبياء في سورة الشعراء : سمحإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧سجى ،فقد تكررت هذه الآيتين مع كل قصةٍ وردت في السورة .

٢- تكرار المعنى دون اللفظ، وهذا كثيرٌ في القرآن، كقصّة موسى عليه السلام مع فرعون ،وهذا فيه دليلٌ باهر على نظم القرآن، فقد أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى (١٩).

المبحث الثاني :فوائد التكرار

بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى في صور مختلفة، والقصة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، ولا يملُّ الإنسان من تكرارها، بل تتجدد له معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى [٢٠].

١- أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً، وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة [٢١] ،لتنويع الفوائد وتوزيعها .

٢- التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، بل التكرار أبلغ من التأكيد، فالتكرار تأسيس، والتأكيد فرعٌ ،وتكرار التأسيس أولى من التأكيد [٢٢].

وغير ذلك من الفوائد الجمّة ، لكن إذا تأملنا التكرار في لسان البشر فإنَّه يكون تكراراً محضاً ،ويدلُّ على عجز البشر، إذ أنه لا يأتي بجديد ،ولم يقل بشيء مفيد ،أما في كتاب الله ففيه من الفوائد الشيء الكثير ، فهو يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع لمعاني الآيات [٢٣].

****

الفصل الثالث :دلائل الإعجاز في تكرار القصص القرآني

تمهيد:

إنَّ كتاب الله عزوجل المنزّلُ على نبيّنا صلى الله عليه وسلم هو معجزته التي أمره الله أن يبلّغه للناس ، والمعجزات التي جاء بها الأنبياء تكون خارقة للعادة، وخارجة عن قوة البشر، ومَقرُونة بالتحدي؛ لتكون شاهدًا على صدقهم ،ولهذا كانت معجزته صلى الله عليه وسلم هي القرآن ،قال صلى الله عليه وسلم :" ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "[٢٤] ، وقد تحدَّى الله من عاند رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بقرآن فلم يأتوا بقرآن مثله ،وبعشر سور ولم يأتوا بعشر سور مثله ،بل ولا بسورة مثله أو من مثله ،ثم ردّ كيدهم وأفحمهم بهذه الآية العظيمة :(قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (سورة الإسراء) عند ذلك لم يجدوا إلا محاولة الصدِّ عنه بعد علمهم بعجزهم وضعفهم ،فقال الله عنهم : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصّلت

:٢٦) ،وأنّى أن يحجبوا نور الله عن الناس ،أو يلقوا فيه الأباطيل ،(يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ)(سورة الصف) .

وإنَّ النظم القرآني البديع بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، فلهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة ،ويظهر للبشر قصورهم في أنَّ الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقِّحها حولاً كاملاً ثم تعطى لأحد غيره فيأخذها بقريحة خاصة فيبدّل فيها وينقّح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام[٢٥].

المبحث الأول : أسلوب التقديم والتأخير ،وذكر بعض الأمثلة عليه

إن أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب البيانية البديعة في القرآن ،ويظهر جمالها كونها تعطي معانٍ لا تجد لها نظير في الأساليب العربية ، فكان هذا الأسلوب من فنون التعبير في الكلام كما قال ذلك المفسِّرون [٢٦] ،وسنتناول هنا التقديم والتأخير بين القصص القرآني ،وتأمل الأسرار البلاغية في تقديم بعض الألفاظ فيها ،وأسباب ذلك .

أولاً: معنى التقديم والتأخير لغةً واصطلاحاً :

حين النظر في مادة(قدم) نجد أنها تكون في عدة أوجه ،تكون باعتبار الزمان أنه متقدم ،وباعتبار الشرف والمكانة ،تقول:فلانٌ متقدمٌ على فلان ،وباعتبار العدد أنه متقدم على العدد الذي بعده ، والقُدْمَة: السابقةُ في الأمر وقوله تعالى : (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ)(سورة يونس:٢) :أي سَبَقَ لهم عندَ اللهِ خيرٌ وللكافرينَ قَدَمُ شَرٍّ [٢٧].

أمثلة على أسلوب التقديم والتأخير في القصص القرآني :

حين نتأمل القصص القرآني ،كقصص الأنبياء عليهم السلام ،نجد كثيراً منها ورد في أكثر من سورة ،وفي كل سورة نجد أسلوباً في القصة ينقل لنا حدثاً غير الحدث الآخر في السورة الأخرى

،ولعلنا نتأمل بعض الأمثلة ،وإن كان المجال هنا لا يكفي لسردها جميعاً ،وإنما الإشارة لشيء منها :

– قصة قوم موسى في سورة البقرة و آل عمران :

يقوله سبحانه في سورة البقرة :(وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ) ،ويقول عزوجل في سورة الأعراف : (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ) .

حين نتأمل في الآيتين نجد أن فيهما تقديماً وتأخيراً ،ففي سورة البقرة قدّم السجود وأخّر لفظة التوبة ،وفي سورة الأعراف قدّم لفظة التوبة وأخّر السجود ،فهل بينهما فرقٌ ،أو المعنى يكون واحداً ؟

لقد بيّن المفسرون وجه التقديم والتأخير هذا ،وأوضحوا مافيه من المعاني الجديدة ،مالا تكون في الآية الواحدة ،ووجه ذلك : أن بعضهم كانوا مذنبين والبعض الآخر ما كانوا مذنبين ، فالمذنب لا بد أن يكون اشتغاله بحط الذنوب مقدماً على الاشتغال بالعبادة لأن التوبة عن الذنب مقدمة على الاشتغال بالعبادات المستقبلة لا محالة ، فلا جرم كان تكليف هؤلاء أن يقولوا أولاً ثم يدخلوا الباب سجداً ،وهذا ما جاء في سورة الأعراف ، وأما الذي لا يكون مذنباً (كما جاء في سورة البقرة) فالأولى به أن يشتغل أولاً بالعبادة ثم يذكر التوبة ،فلما احتمل كون أولئك المخاطبين منقسمين إلى هذين القسمين لا جرم ذكر الله تعالى حكم كل واحد منهما في سورة أخرى[٢٨].

– قصة داود عليه السلام :

يقول سبحانه في سورة الأنبياء :(وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ) ،وقال في سورة سبأ : (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ) ،فلماذا كرّر الله تقديم الجبال على الطير وهي جامدة في السورتين ؟

إنَّ في تقديم ذكر الجبال سر بلاغي ،وإعجاز قرآني أظهر الله فيه شيئاً من معجزات نبيه داود عليه السلام ،وذلك لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز ، لأنها

جماد والطير حيوان ، إلا أنه غير ناطق ،فكان تسبيح الجبال أعجب وأغرب ،وفيه من إظهار دلائل إعجاز القرآن الشيء الكبير[٢٩] .

– قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون :

يقول سبحانه في سورة الأعراف: (قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) ،وقال في سورة طه :(فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ)،في تقديم موسى على هارون في سورة الأعراف ،وفي تأخيره في سورة طه معانٍ بديعة بيّنها العلماء على معنيين :

- تقديم موسى في الأعراف ،وتأخيره في سورة طه جاء مراعاة للفاصلة القرآنية التي ختمت بها آياتها

في السورتين ،فناسب تقديمه في الأعراف ،وتأخيره في طه ،ولهذا تجد في سورة طه في الآيات التي قبلها ما يناسب تلك الفاصلة ،مثل قوله تعالى:(قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ) [٣٠].

- ويحتمل أن يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم رب موسى وهارون ، وطائفة بقولهم : رب هارون وموسى ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة كل من القولين إلى الجميع[٣١].

المبحث الثاني : الفاصلة القرآنية ،وذكر بعض الأمثلة عليها .

اختلف العلماء في تعريف الفاصلة القرآنية ،فقيل إن معناها : حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ،وتكون أواخر الآيات في كتاب الله[٣٢] ، ويرى بعض العلماء أن رؤوس الآيات والفواصل مترادفان وهي نهايات الآيات كما قدمت ،ويرى آخرون أن الفاصلة أعم ، فهي الكلام المنفصل مما بعده ،والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية ،وكذلك الفواصل يكن رءوس آي وغيرها ،فكل رأس آية فاصلة ولا عكس.

– أمثلة على أسلوب الفاصلة القرآنية في القصص القرآني :

لقد فضح الله المنافقين في القرآن وقصَّ علينا شيئاً من مكرهم ومخادعتهم ،فيدّعون الإيمان بألسنتهم وقلوبهم عليلة مريضة ،ظنوا أنَّ ذلك يخفى على الله ،فباؤوا بالخسران في الدنيا قبل الآخرة ،وقد ذكر الله هذا في عدد من الآيات وكرّر فيها وأعاد تأكيداً ،وبياناً ،وتوضيحاً لخطرهم ومكرهم ،ومن ذلك ما جاء في صدر سورة البقرة :(صمٌ بكم عمي فهم لا يرجعون) ،لكن نجد في

نفس السورة تكرار لهذه الآية سوى أنَّ آخرها (فهم لا يعقلون) فما سرُّ هذا الاختلاف ؟وما هو السر البلاغي والإعجازي ؟وهل ماكان في الآية الأولى هو نفسه في الآية الثانية ؟

لقد بيّن العلماء أن معنى الرجوع :هو العود إلى ماكان في البدء[٣٣] ،فالمنافقون أعلنوا إسلامهم ،وأظهروه ،ثم أبطنوا الكفر ،فظاهرهم أنهم مسلمون ،ولهذا فقد تلبّسوا بالإسلام واستناروا به ثم فارقوه ،فصاروا صمّاً عن سماع الخير ،بكماً عن النطق به ،عمياً عن رؤية الحق ،فوصفهم الله تعالى أنّهم لايرجعون إلى الهدى الذي تركوه ،عن عمد وبُعد معرفة ،فلا يرجى لهم رجوع إليه [٣٤].

ولهذا لم تأت فاصلة (لايعقلون) إلا في الآية الأخرى ،لأنها تتحدث عن الكافرين ،فهم لم يدخلوا في الإسلام حتى يرجعوا إليه ،ولم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان ، فشبّه فيها حالهم بحال الغنم في كونها يصاح بها وتنادى فلا تفهم عن راعيها ولا تسمع إلا صوتاً لا تعقل معناه ولا تفهم ما يراد به ،فكذلك هم في خطاب الرسل إياهم فلا يجيبونهم ولا يعقلون ما يراد بهم [٣٥].

ومن هنا يتبين مناسبة (لا يعقلون) للكفار ،ومناسبة (لايرجعون) للمنافقين .

– قصّة المنافقين في صدر سورة البقرة :

نقل الله لنا حال المنافقين ،وبيان ما يرتكبون من ضلال وصدٍّ للناس عن دين الله ، فقال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ فما السرُّ في اختلاف الفاصلتين (لَّا يَشْعُرُونَ)(لَّا يَعْلَمُونَ)؟

الجواب: أنهم في الآية حكم عليهم بالفساد ،ثم ادّعوا نقيض ذلك وهو الإصلاح ،والإفساد أمرٌ ظاهر يُدرك بالحواس ،ومع هذا قلبوا الحقائق ،فالمناسب هنا أن يُنفى عنهم الشعور ،لأنّ من لم يدرك ما يحسُّ به العقلاء فحقيق أن ينفى عنه الشعور ،وأمَّا الآية الثانية التي نفت عنهم العلم ،لأنّ الآية صدّرت بطلب الإيمان منهم ،فردّوا استهزاءً واستنكاراً أنّهم كيف يؤمنون مثل الذين آمنوا و وصفوهم بالسفهاء ،فردّ الله عليهم بإثبات السفه لهم ،فإنّ السفه الذي اتّهموا به المؤمنين وأثبته الله للمنافقين ،معناه:خفة العقل والجهل بالأمور ،فناسب ذلك نفي العلم عنهم و ذكر السفه وهو جهل ، فكان ذكر العلم أحسن طباقاً له [٣٦].

****

المبحث الثالث :أسلوب اختلاف التعبير القرآني ،وذكر بعض الأمثلة عليه .

لقد بيّنت سابقاً أنّ من أغراض تكرار القصص كشف معانٍ جديدة فيها بأساليب جديدة ،ومن تلك الأساليب نقل المشهد بصورة أخرى لا تكون في تلك القصّة ،وفي هذه الصورة يكون المشهد مرتبطاً بمقصد السورة ،أو بموضوع الآيات ،بحيث أن ألفاظ القصة جاءت متّسقة مع أحداث القصّة ،ومن أوضح الشواهد على ذلك :

- قصة انقلاب عصى موسى إلى حية أو ثعبان أوجان :

بيَّن العلماء من دلائل الإعجاز في هذه القصّة ما يشُدُّ الانتباه ويُبهر العقول ،ففي سورتي الأعراف والشعراء يقول سبحانه: (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) ،وفي سورة طه جاء قوله تعالى:ُ (قَالَ أَلْقِهَا يٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ) ، وفي سورة القصص قال تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ) والثعبان – كما قال أهل العلم- : الحية الضخم الطويل ،والجان: هو الدقيق من الحيات ،والحية: اسم جنس يقع علي الذكر والأنثى والصغير والكبير(٣٧)

فاختلاف أوصاف العصا وتحولها ، هل كانت بحالة واحدة ، أم أنَّ هناك عدة مشاهد لتحوُّلها ؟ وما الذي استنبطه العلماء من تلك الأحوال المعجزة الباهرة؟

لقد أجاب المفسرون عن هذا بأنها حية وثعبان في ضخامتها وهول منظرها ،وجانٌ في سرعة حركتها وخفتها ونشاطها وحيويتها فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر حجمه نشاط الجان وسرعة حركته، وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة(٣٨) ،أو أنها كانت في أول أمرها حية دقيقة صغيرة ثم تورمت وزاد حجمها حتى صارت ثعباناً (٣٩) ، والثعبان وُصف بأنه مبين ، وهذا مناسب للمشهد والسياق ، فلفظ الثعبان ذُكر عند لقاء موسى عليه السلام مع فرعون ومحاجته ومجادلته وإبلاغه الرسالة، حتّى تتميز معجزات الأنبياء بما فيها من الآيات الباهرة على المعاندين ،ولتكون أبلغ وأكثر إعجازاً للناظرين(٤٠).

- قصة موسى عليه السلام في ضربه بعصاه الحجر :

وذلك أنّ موسى عليه السلام طلب السقيا لِقَومِه ،لمّا عطشوا في التيه سألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل، فأوحي إليه أن اضرب بعصاك الحجر ،ليخرج منه الماء معجزة باهرة له ،لكن القرآن نقل لنا المشهد بمعجزة بيانية بلاغية بديعة جاءت في سورتين ،يقول سبحانه في سورة البقرة:(وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ) ، ففي الآيتين نجد لفظة:(فَٱنفَجَرَتۡ) في سورة البقرة ، في سورة الأعراف (فَٱنۢبَجَسَتۡ) فهل هناك فرقٌ بينهما وأدلة إعجازية تجدّد المعنى ؟

لقد بيّن عددٌ من المفسرين الجواب [٤١] وأنَّ بينهما اختلافٌ وتضاد في المعنى؛ لأن الانفجار خروج الماء بكثرة ،والانبجاس خروجه قليلاً، فالانفجار: الانشقاق، ومنه: الفاجر؛لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق ،والانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان، لكن لا يتناقضان في القصّة ،فالقصة المذكورة في سورة الأعراف سورة مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب، وناسب أن ينقل فيها حال خروج الماء في أوله وهو الانبجاس؛ لأنَّ الله تعالى يقص ذلك على رسوله صلى الله عليه وسلم عما فعل بهم، وأما في سورة البقرة، فهي مدنية ،فكان الخطاب فيها متوجهًا إليهم بما آل إليه الأمر آخراً وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار هاهنا ،ومن الدلائل لعله انبجس أولاً، ثم انفجر ثانياً، وكذا العيون، يظهر الماء منها قليلًا ثم يكثر لدوام خروجه ،فهذا الإعجاز اللفظي، وما تضمن من سعة في المعنى نقل لنا أحداث القصة كاملة من خلال السورتين .

****

المبحث الرابع :أسلوب الإيجاز ،وذكر بعض الأمثلة عليه .

من خصائص الأسلوب القرآني الإيجاز ،وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة تؤدي الغرض من غير إخلال بالمعنى ،والإيجاز نوعان : إيجاز حذف وإيجاز قصر ، أما إيجاز الحذف فهو : إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام[٤٢] ،فمن أمثلة إيجاز الحذف قوله تعالى في سورة يوسف : (وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ

وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) والمعنى :أي أهلها، ويريدون بالقرية مصر، وهذا التعبير لأجل أنّ الخبر انتشر لدى أهلها كلهم(٤٣) .

وأما إيجاز القصر فهو : بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف(٤٤) ،وسأورد بعض الأمثلة لدراسة دلائل الإعجاز في تكرار القصص بهذا الأسلوب البديع ،وإلا فالأمثلة أكثر من أن تحصى .

-الحديث عن فرعون في القرآن :

لقد ذكر الله قصّة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون من خلال عدة مشاهد ،وكلّ مشهد له من المقاصد والعبر ما لايكون في غيره ،وقد مرّ في هذا البحث عددٌ منها ،وحاولت إبراز شيء من تلك الدلائل الإعجازية ،إلا أنه هناك إعجاز بياني آخر لا يقلّ أهمية عن تلك ،وهو أنّ القرآن ينقل لهذه الأمة موجز تلك الأحداث يلخصّ مافيها بأسلوب بديع غير مخل ،ومن ذلك قوله تعالى في مطلع سورة القصص:(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ) ،وهذه السورة مكية ،فكان هذا المطلع الرائع والاستهلال المعجز تسليةً للنبي صلى الله عليه وسلم ،وتقويةً له عمّا قد يلاقيه في دعوة قومه عندما يسمع ما كان يجري للأنبياء من قبله ،فاشتملت على ست كلمات سناؤها وضياؤها على ما ترى، وسلاستها وماؤها على ما تشاهد، ورونقها على ما تعاين، وفصاحتها على ما تعرف ،وهي تشتمل على جمل جامعة وتفصيل وتفسير، ذكر العُلو في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ،وإذا تحكّم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ؛لأن النفوس لا تطمئن على هذا الظلم ،والقلوب لا تقر على هذا الجور ،ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد وكفَت في التظليم(٤٥)،فهذا المدخل للقصة يمثّل العبرة منها ،إذ هي تدور حول فكرة الحق والباطل ،والصراع بين جند الرحمن وجند الشيطان ،وستكون سنة الله انتصار الحق ،والتمكين لأهله في الأرض ،ثم بدأت القصة تتابع ،لتكون تمثيلاً لهذه العبرة ،وتجسيداً لها (٤٦).

- حوار موسى عليه السلام مع فرعون :

وفي هذه القصة من العبر الشيء الكثير ،وهذا ما يجعلني أعيد في نقل ما جاء فيها ،ليس تقليلاً من دلالات القصص الأخرى-وإن كنت أشرت إلى شيء من ذلك- لكن يتجلّى في هذه القصّة ما لايتجلّى في غيرها من القصص ،وذلك لكثرة مشاهد وأحداث هذه القصّة .

من الأساليب التي أشرت إليها في هذا المبحث ،دلالة الإيجاز ،وفي هذا الإيجاز معانٍ كثيرة ودروس معبرة ،فمن ذلك ، قوله عزوجل في سورة الشعراء: (قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ) ً ففي الآيات نرى حذف المبتدأ في ثلاثة مواضع: قبل ذكر الرب، أي هو رب السموات، والله ربكم، والله رب المشرق، لأن موسى عليه السلام استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال تهيباً وتفخيماً، فاقتصر على ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وبهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس(٤٧) .

****

الخاتمة:

طوف البحث بحمد الله على دلالات المثاني، والتكرار في القصص القرآني، مقترنا بالحديث عن مظاهر الإعجاز في ذلك، وخلص إلى طائفة من **النتائج** أهمها:

- القصّة القرآنية حقٌ، ودليل صدق مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام ،لا يدخلها خيال ،ولامبالغة ،وكل ما ورد فيها من الأحداث والمشاهد ينبغي أن يُدرس ،ويُتأمّل .

- أن التكرار في القصص القرآني من شأنه التأكيد على بلاغة القرآن وإعجازه ،وأنّ البشر عاجزون أن يأتوا بمثله بل وأقلّ من ذلك ،حتى لو اجتمعوا له .

– حفلت القصة القرآنية بنماذج متنوعة من شخصيات مختلفة ،كل نموذج تُعرض قصته بأسلوب فريد، وهذا التنوّع فيه من التشويق ما يناسب موضوعه ،وإن تكرّرت القصة .

وأما التوصيات:

- فينبغي تأمل القصص القرآني ،والنظر له بنظرة فاحصة شاملة ،وجمع دلالات كل قصّة ،ليعظم النفع لمن أراد فهم مراد الله في القصة .

- ومن واجب الأدباء والمربين أن يعطوا للقصّة القرآنية المساحة الأكبر من اهتماماتهم وكتاباتهم، فلا فائدة نجنيها من تلك القصص الخيالية ،فضلاً عن القصص سيئة الأهداف، وما فيها من صرف النفوس للشر والانحلال.

- وينبغي ربط الجيل بقصص الأنبياء وما لاقوه من صنوف التكذيب والجحود والمكر من أعدائهم، ليعلم الجيل عظم المسؤولية، وليحملوا على عاتقهم هم الدعوة إلى كتاب الله عزوجل قراءةً وحفظاً وتدبّرا وعملاً.

الحواشي:

[٢] مقاييس اللغة لابن فارس ١/ ٣٩١.

[٣] المرجع السابق ١/ ٣٩٢.

[٤] انظر: الصحاح للجوهري ٢٢٩٤/٦ – ٢٢٩٥. لسان العرب لابن منظور ١١٥/١٤ – ١١٦.

[٥] انظر: تفسير سفيان الثوري (ص ١٦١). تفسير الشافعي ١/ ١٨٩، ١٩٢. تفسير عبدالرزاق ٢٥٩/٢. تفسير الطبري ١٠٥/١ – ١٠٧.

[٦] انظر: تفسير مجاهد ص ٤١٨. وتفسير سفيان الثوري ص ١٦١. وتفسير الطبري١٠٨/١٤. وتفسير ابن أبي حاتم ٢٢٧٢/٧.

[٧] تفسير الماوردي (النكت والعيون) ١٢٣/٥.

[٨] تفسير البغوي ٣٩٢/٤.

[٩] المفردات للراغب الأصفهاني (ص ١٧٩).

[١٠] المرجع السابق.

[١١] تهذيب اللغة للأزهري ٢١١/٨ ،لسان العرب لابن منظور ٧٣/٧-٧٥.

[١٢] معجم مصطلحات علوم القرآن لمحمد الشايع ١٢١.

[١٣] تفسير ابن كثير ٣٦٣/٤بتصرف يسير .

[١٤] دراسات في علوم القرآن الكريم للرومي ص ٦٠٩ بتصرف .

[١٥] سيأتي مزيد تفصيل وبيان حين الحديث عن دلائل إعجاز القرآن في القصص .

[١٦] إعجاز القرآن للباقلاني ٦٢/١.

[١٧] لسان العرب ١٥٣/٥.

[١٨] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٠/١ بتصرف يسير .

[١٩] إعجاز القرآن للباقلاني ١٩٠/١ ،مباحث في علوم القرآن ص٣١٨.

[٢٠] مباحث في علوم القرآن ص٣٠٨.

[٢١] البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٨/٣.

[٢٢] دراسات في علوم القرآن للرومي ٦١٣.

[٢٣] مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦٧/١٩بتصرف.

[٢٤] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب فضائل القرآن برقم ٤٩٨١ ،ومسلم في صحيحه: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم برقم١٥٢.

[٢٥] مباحث في إعجاز القرآن مصطفى مسلم ١٠٨-١٠٩.

[٢٦] تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٦٨٧/٤.

[٢٧] العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٢٢/٥ ،المفردات للراغب ٤١٤.

[٢٨] تفسير الرازي ٥٢٦/٣ ،تفسير أبي حيان ٣٨٨/١.

[٢٩] تفسير الزمخشري ١٢٩/٣.

[٣٠] تفسير أبي حيان ٣٥٨/٧.

[٣١] المصدر السابق ٣٥٨/٧.

[٣٢] النكت في إعجاز القرآن للرماني ص٩٧ ،لسان العرب ٥٢١/١١.

[٣٣] المفردات للراغب ص٢٠٥.

[٣٤] تفسير أبي السعود ٥٠/١.

[٣٥] ملاك التأويل للغرناطي ٢٨/١.

[٣٦] المفردات للراغب (٢٥١ مفاتيح الغيب للرازي ٣٠٨/٢.

[٣٧] تفسير الطبري ١٥/١٣، الجمان في تشبيهات القرآن ص١٨١ لابن ناقيا البغدادي.

[٣٨] تفسير الرازي ٥٠١/٢٤ تفسير الألوسي ٤٩١/٨ .

[٣٩] تفسير الكشاف ٥٨/٣.

[٤٠] تفسير الرازي ٣٢٩/١٤ بتصرف يسير .

[٤١]تفسير الرازي ٥٢٩/٣ ،تفسير ابن كثير (٢٧٩/١

[٤٢] النكت في إعجاز القرآن للرماني ص٧٦.

[٤٣]تفسير القرطبي ٢٤٦/٩ بتصرف يسير.

[٤٤] النكت للرماني ص ٧٦.

[٤٥] إعجاز القرآن للباقلاني ١٩٤/١.

[٤٦] الإعجاز البلاغي في القرآن وليد قصاب ص ٢٠٠.

[٤٧] البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٠٦/٣،

المصادر والمراجع

١. إعجاز القرآن للباقلاني محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م .

٢. الانتصار للقرآن · لمحمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني · المحقق: محمد عصام القضاة · · سنة النشر: ١٤٢٢ – ٢٠٠١.

٣. البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه .

٤. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدِّينَوري عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ) · السيد أحمد صقر · دار التراث · ١٩٧٣م ١٣٩٣هـ .

٥. تفسير ابن أبي حاتم التميمي الحنظلي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد الطيب، ط٣، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

٦. تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – دار إحياء التراث. الناشر .دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧. تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، القرن : الثامن، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر . بيروت، سنة الطبع : ١٤٢٠هـ

٨. تفسير البغوي للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٩. تفسير الشافعي، (ت ٢٠٤هـ) تحقق أحمد الفران، دار التدمرية، ط١، السعودية، ١٤٢٧هـ.

١٠. تفسير الطبري، دار هجر للطباعة و النشر والتوزيع والإعلان، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٢. تفسير الماوردي (النكت والعيون) لعلي بن محمد البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. تفسير سفيان الثوري، (ت ١٦١ هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٤. تفسير عبدالرزاق الصنعاني، (ت٢١١هـ)، تحقيق محمود عبده، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٥. تفسير مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ)، تحقيق محمد أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ.

١٦. تهذيب اللغة . لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

١٧. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ

١٨. الجمان في تشبيهات القرآن تأليف : عبد الله بن الحسين بن ناقيا البغدادي. تحقيق : محمود حسن أبو ناجي الشيباني، دار النشر : ، الرياض ، ١٩٨٧م ١٤٠٧هـ .

١٩. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: المؤلف، الطبعة: الثامنة عشرة ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

٢٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢١. الصحاح للجوهري، (ت ٣٩٣ت)، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٢. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣. صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٤. في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، د. وليد إبراهيم قصاب الطبعة الثانية ، دار الفكر، دمشق، [سوريا]: ٢٠١٤.

٢٥. كتاب العين، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ . ٥٣٨ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ .

٢٧. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٢٨. مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلم الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٩. مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٣٠. معجم مصطلحات علوم القرآن، أ.د محمد بن عبدالرحمن الشايع، دار التدمرية بالرياض، الطبعة الاولى، عام ١٤٣٣هـ.

٣١. مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير، لمحمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٢. المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٣٣. مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٤. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي أحمد بن إبراهيم، تحقيق عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية سنة النشر، ٢٠٠٦م ١٤٢٧هـ .

٣٥. النكت في إعجاز القرآن .للرماني علي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت: ٣٨٤هـ). تحقيق، محمد خلف الله. الناشر، دار المعارف بمصر. الطبعة، الثالثة.